﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾ [الانفطار: 13 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الإفْصاحُ عَنْ مَصيرِ كُلِّ فَريقٍ مِنَ النّاسِ بِحَسَبِ أعْمالِهِم

لمّا أثبَتَتِ الآياتُ السابقةُ وقوعَ يومِ الحسابِ، وأبانَت عن علمِ كُلِّ نَفْسٍ بما قدَّمَت، وأخَّرَت، وذكَرَت مَسؤوليَّةَ الإنسانِ عَنْ أعمالِه تَحتَ رَصْدِ الحافظينَ؛ جاءَت هَذِهِ الآياتُ لِتُفصِحَ عن مَصيرِ كُلِّ فريقٍ مِنَ الناسِ بحَسَبِ أعمالِهم، فذُكِرَ القِسمُ الأوّلُ مِنَ النّاسِ، وهُمُ الأبرارُ، ثمّ جاءَ ذِكرُ الفَريقِ الثّاني، وهُمُ الفُجّارُ، وذُكِرَ الجزاءُ المُعَدُّ لِكُلِّ فريقٍ مِنهُما.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾: (برر) أصْلٌ يَدُلُّ على الصِّدْقِ[1]، يُقال: بَرَّت يَمينُه بَرًّا؛ إذا لَم يَحْنَث، ومنه قيلَ: (بَرَّ الرَّجُلُ)؛ إذا صَدَقَ في أقوالِه وأفعالِه[2]، ومِنَ المَجاز: فُلانٌ يَبَرُّ رَبَّهُ، أي: يُطيعُه[3]، وكانَ بارًّا مُطيعًا للّه، مُحسِنًا إلى عِبادِه، مُمتَثِلًا لأوامرِ ربِّه، مُجتنبًا لنواهيه، فهي كَلِمَةٌ تدلُّ على الصِّدقِ والطَّهارَةِ والنَّقاءِ والاستقامة[4]، والأبرارُ جَمعُ بارٍّ، والبِرُّ ضِدُّ العُقوق، ورُبَّما كانَ أصلُ البِرِّ مِنَ البَرِّ خِلاف البحر، تُصوِّرَ مِنهُ التَّوَسُّع، فاشتُقَّ مِنه البِرّ، أي: التَّوَسُّعُ في فِعلِ الخَير، ولَفظُ (البَرُّ) يُستعملُ في وصفِ الإنسانِ الكاملِ في خُلُقِه ودينِه، المُحسِنِ في علاقتِه بربِّه وبخَلْقِه، فالأبرارُ في الآيَةِ هُمُ الذينَ بَرّوا اللّه بطاعتِهم، وبَرّوا عِبادَه بإحسانِهم، فنالوا البِرَّ جزاءً على برِّهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بر).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغويّة: (برر).
(3) الزمخشري، أساس البلاغة: (برر).
(4) ابن سيده، المُحكم: (برر).

2) ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾: (فجر) أصْلٌ يَدُلُّ على التَّفَتُّحِ في الشَّيْءِ، مِنْ ذلِكَ الفَجْرُ: انْفِجارُ الظُّلْمَةِ عَنِ الصُّبْحِ، ومِنْهُ: انْفَجَرَ الماءُ انْفِجارًا، أيْ: تَفَتَّحَ، ثُمَّ كَثُرَ هذا حَتَّى صارَ الانْبِعاثُ والتَّفَتُّحُ في المَعاصي فُجورًا، ولِذلِكَ سُمّيَ الكَذِبُ فُجورًا، ثُمَّ كَثُرَ هذا حَتَّى سُمّيَ كُلُّ مائِلٍ عَنِ الحَقِّ فاجِرًا[1].

فَهَذِهِ المادَّةُ إذا استُعْمِلَت في أوصافِ الناسِ؛ دَلَّت على الخروجِ عَنِ الطّاعةِ، والتَّلَبُّسِ بالمَعصيَةِ، والانفِلاتِ مِنْ حُدودِ الشَّرعِ، وشقِّ عصا الطّاعةِ، فالفُجّارُ همُ الذين تمادَوا في مخالفةِ أمرِ اللّه، وارتَكَبوا المَعاصي، وجاهَروا بها، بلا وجَلٍ ولا خَشيةٍ، فهُم في مقابلةِ الأبرارِ الذين بَرّوا ربَّهم بطاعتِهم.

4) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: (صلي) أصلٌ يدلُّ على اللُّصوقِ بشيءٍ مع الحرارةِ، تقولُ: صَلِيَ النارَ يَصْلاها صِلًى وصُلًى وصَلوًا؛ إذا دخَلَ فيها، واحترقَ بها، أو لَزِمَها مُتحمِّلًا لَظاها، والصَّلا اسمٌ للوَقود؛ إذا اصطَلَى به القوم[2]، وصَلَى اللَّحْمَ صِلاءً: شَواهُ، والصِّلاءُ: الشِّواءُ، وصَلَى اللَّحْمَ في النّارِ، وأصْلاهُ: ألْقاهُ للاحتراقِ[3]، فالمعنى في الآية: دُخولُ الفُجّارِ الجحيمَ يومَ الحسابِ، والتِصاقُهُم بها التصاقَ المُحتَرِقِ بالنّارِ، لا يكونُ لهم عنها انفكاكٌ، ولا يُخفَّفُ عنهم من بأسِها.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَصويرُ المَصيرِ في ضَوءِ أعمالِ الإنسان

في هذه الآياتِ يُقسِّمُ اللّه تعالى الناسَ إلى صِنفَينِ لا ثالثَ لهما، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾، أي: إنَّ الذين بَرّوا بأداءِ فرائضِ اللّه، وزَكّوا نُفوسَهُم، وراعَوا حدودَ اللّه، واتَّقَوهُ في سرِّهم وعَلَنِهم،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فجر).
(2) الخليل، العين: (صلي).
(3) ابن سيده، المُحكم: (صلي).

واجتَنَبوا مَعاصيَهُ: لَفي نَعيم الجِنانِ يَنعمونَ فيها[1]، ثمّ قالَ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، أي: إنّ الذين فجَروا في أعمالِهم، وتمرَّدوا على أمرِ الله، ورَكِبوا مَعاصيَه؛ لَفي جَحيم عَظيم، وعذابٍ شديدٍ، يُحَرِّقُهم، ويُحاصِرُهم، ولا يَبرَحونَه، بل هُم مُلازِمون له، مُقاسونَ وهجَه، يومَ الدّين والجزاءِ على الأعمال، وهو يومُ القيامة[2]، ثمّ قالَ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾، أي: لا يُفارِقونَ تلكَ الجحيمَ، ولا يُمهَّلونَ عنها، ولا يُخفَّفُ عنهم، ولا يُؤذَنُ لهم بالانصرافِ، بَلْ هم فيها خالِدونَ مُخَلَّدون.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصلِ الجُملَة:

بَلاغَةُ الفَصْلِ في تَقريرِ المَصيرِ الأُخْرَويّ

فُصِلَ قَولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ عمّا قبله للاستِئنافِ البَيانيّ، فالجُملَةُ مستأنفة لتَقريرِ المصيرِ الأُخرَويِّ للإنسان، كأنّها وقَعَت جَوابًا عَن سُؤالٍ وقَعَ في نَفْسِ السّامِعِ، يُثيرُه قولُه تعالى: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ الآيات، فالسّامِعُ يَتَشَوَّفُ إلى مَعرفَةِ هذا الدّينِ والجزاءِ ما هو، وإلى مَعرفَةِ غايَةِ إقامَةِ المَلائكَة لإحصاءِ الأعمالِ ما هي، فبُيِّنَ ذَلكَ كُلُّه في هَذِهِ الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3].

والفَصْلُ بَيْنَ الجُمَلِ يَكونُ للدِّلالَةِ على استِئْنافٍ مَعنَويٍّ، يُرادُ به تَفْتيقُ الذِّهْنِ لِتَلَقّي حُكْمٍ جَليلٍ، كَأَنَّهُ مَبْدَأُ خِطابٍ جَديدٍ، وهوَ سياقٌ يَقْتَضي إبْرازَ المَعْنَى على وجْهٍ مِنَ التَّقْريرِ والإثْباتِ؛ لأنَّه تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذِهِ الجُمَلِ ذِكْرُ رَصْدِ الأعْمالِ، فكانَ مِنَ البَلاغَةِ أنْ يُفْصَلَ عَنْ ذَلِكَ جَوابُ ما سيؤول إلَيْهِ أولَئِكَ المَرْصودونَ، مِنَ الأبْرارِ والفُجّارِ.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 271.
(2) الواحديّ، التفسير الوسيط: 4/ 439.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 181.

بَلاغَةُ تَوكيدِ الجُملَة:

تَوالَتِ المُؤَكِّداتُ في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾؛ إذ صُدِّرَتِ الجُملَةُ الاسميَّةُ بـ﴿إِنَّ﴾، وأُدخِلَت لامُ الابتداء؛ ليُساويَ البيانُ مُبَيَّنَهُ - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ - في التَّحقيقِ ودَفْعِ الإنكار[1].

تَوكيدُ ثُبوتِ النَّعيمِ يُناسِبُ مَقامَ الرَّدِّ على المُكَذِّبينَ بالجَزاء

وبَلاغَةُ هَذِهِ الجُملَةِ المُؤَكَّدَةِ في إفادَتِها التَّقريرَ والتَّثْبيتَ في الرَّدِّ على المُكَذِّبينَ بالدِّينِ، الَّذينَ ذُكِروا في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ فكانَ تَوكيدُ هَذِهِ الجُملَةِ إفْحامًا لِلمُكَذِّبينَ، وإزالَةً لِما تَسَلَّلَ إلَى أوهامِهِم مِنَ الشَّكِّ أوِ الاستِبْعادِ لِهَذا الجَزاءِ؛ ليَكونَ بمنزلة الحُكمِ القَطْعيِّ الَّذي لا يُخالِطُهُ شَكٌّ أوْ تَرَدُّد.

ويُفيدُ التَّوكيدُ التَّقريرَ والتَّفْصيلَ بَعْدَ الإجْمالِ، فقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الرَّقابَةِ والكِتابَةِ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، وهَذا يَقْتَضي جَزاءً، فجاءَ التَّوْكيدُ في قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ إفادَةً؛ لأنَّ هَذا الجَزاءَ حَقٌّ وواقِعٌ، وذَلِكَ مِنْ بابِ تَقْوِيَةِ المُتَوَقَّعِ في ذِهْنِ السّامِعِ وتَثْبيتِهِ في قَلْبِ المُخاطَب.

سِرُّ التَّعبيرِ بالأبْرار:

آثَرَ القُرآنُ الكَريمُ وصْفَ الأبرارِ في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ دونَ أنْ يَقولَ: (إنَّ المُؤْمِنينَ)؛ وذَلِكَ لأنَّ الوَصْفَ بالأبْرارِ أرْقَى مَقامًا وأبْلَغُ تَنْويهًا مِنَ الوَصْفِ الإيمانيِّ المَحْض؛ لأنَّ (البِرَّ) في نَظَرِ الشَّرْعِ يَجْمَعُ صِدْقَ العَقيدَةِ وحُسْنَ السُّلوكِ، ويَتَضَمَّنُ تَجَسُّدَ المَعْرِفَةِ الإيمانيَّةِ في العَمَلِ والخُلُق، فالأبْرارُ هُمُ الَّذينَ جَمَعوا بَيْنَ صِحَّةِ الإيمانِ وكَمالِ الإحْسان، وقَدْ جَرَى العُرْفُ القُرآنيُّ على استِعْمالِ هَذا اللَّفْظِ في مَقامِ الثَّناءِ والتَّكْريم، كَما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: 5]، وهوَ

جَمَعوا بَينَ صِحَّةِ الإيمانِ وكَمالِ الإحْسان

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 181.

وصْفٌ يُشْعِرُ بالمَجْدِ الرّوحيِّ والنَّقاءِ القَلْبيِّ، ولِذَلِكَ جاءَ اختيارُهُ في هَذا السّياقِ؛ ليَدُلَّ على أنَّ مَحَلَّ الجَزاءِ في ذَلِكَ اليَوْمِ لَيْسَ مُجَرَّدَ الإيمانِ اسْمًا وادِّعاءً، بلِ المَقامُ مَقامُ البِرِّ المُتَمَثِّلِ في صالِحِ الأعْمالِ وتَقْوَى القُلوبِ.

وأوثِرَت صيغَةُ الجَمعِ ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ دونَ (بَرَرَة)؛ جَرْيًا على الاستِعمالِ القُرآنيّ؛ فلَفْظُ الأبرار وردَ عِدَّةَ مَرّاتٍ في القرآن الكريم، كُلُّها في حَقِّ البَشَر، بَينَما وردَ الجَمعُ (بَرَرَة) مَرَّةً واحِدَة في سياقِ وصْف المَلائكَة: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: 15 - 16]، وسِرُّ التَّفريقِ بَينَهُما أنَّ (الأبرار) جَمعُ قِلَّة، وهُم في النّاسِ قِلَّةٌ قياسًا إلى الفُجّار، أمّا الجَمعُ (بَرَرَة)؛ فهوَ جَمعُ كَثْرَة، ولِذَلِكَ استُعمِلَ وصْفًا لِلمَلائِكَة؛ لأنّهم جميعًا بَرَرَة، وهُم كَثيرٌ في العَدَد[1].

دَلالَةُ (في):

حَرفُ الظَّرفيَّةِ (في) مِنْ قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾، لَهُ دَلالَةٌ بَليغَةٌ تُصَوِّرُ إحاطَةَ النَّعيم بالأبْرار، وحُلولَهُم فيه حُلولَ المُسْتَقِرِّ في مَكانٍ، والظَّرفيَّةُ هُنا مَجازيَّة؛ لأنَّ النَّعيمَ أمرٌ اعتِباريٌّ، ولا يَكونُ ظَرْفًا حَقيقَةً؛ شُبِّهَ دَوامُ التَّنَعُّم لَهُم بإحاطَةِ الظَّرْفِ بالمَظْروف، بحَيْثُ لا يُفارِقُهُ[2].

نَـعـيـمُ الأبــرارِ دائِـــــمٌ لا يُـفـارِقُـهـم، ولا يُفارِقونَه

وَمِنْ بَلاغَةِ التَّعبيرِ بالظَّرفيَّة دَلالَتُه على أنَّ نَعيمَ الأبْرارِ لَيْسَ مُجَرَّدَ لِقاءٍ أو زيارَةٍ، بَلْ هوَ مَقامٌ يَسْكُنونَهُ، ويُساكِنُهُم؛ فكَأنَّهُم في بُحْبوحَةِ النَّعيم، لا يُفارِقُهُم، ولا يُفارِقونَهُ، ممّا يوحي بالثَّباتِ والطُّمَأْنينَة.

نُكتَةُ التَّعبيرِ بالنَّعيم:

عُبِّرَ عَنِ الجَنَّةِ بالنَّعيم في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾،

النَّعيمُ أجمَعُ ما يُرادُ مِنَ الجَزاءِ الأُخْرَويّ

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 469.
(2) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 182.

وذَلِكَ لِما يَحمِلُه هذا اللَّفْظُ مِنَ التَّعظيمِ والتَّفخيم؛ لأنَّ النَّعيمَ اسْمٌ يُطلَقُ على كُلِّ ما يَنعَمُ بِهِ الإنسان.

وَمِمّا يُذكَرُ في سِرِّ التَّعبيرِ بالنَّعيمِ عَنِ الجَنَّة أنَّ نَعيمَ أهلِ الجَنَّةِ لا يُحَدُّ، ولا يُحْصَرُ في صوَرٍ مَعْلومَةٍ، بَلْ هوَ نَعيمٌ يَتَنَوَّعُ، ويَتَجَدَّدُ، ويَفوقُ في حَقيقَتِهِ ما عَهِدَتْهُ النُّفوسُ في الدُّنْيا، وقَدْ جاءَ ذِكْرُهُ مُناسِبًا لِسياقِ التَّقْريرِ الَّذي تَقَدَّمَ فيهِ ذِكْرُ الكِتابَةِ والرَّصْدِ، فكانَ الجَزاءُ هوَ (النَّعيم)، وأُطْلِقَ عَلَيْهِ؛ لِكَوْنِهِ أجْمَعَ لِما يُرادُ مِنْ نِعَمِ الآخِرَةِ، وفيهِ تَلطيفٌ لِمَعْنَى الجَزاءِ، فلَم يَقُلْ: (إنَّ الأبْرارَ لَفي الجَنَّةِ)؛ لأنَّ ذَلِكَ يُحيلُ إلَى مَعْنًى مَعْروفٍ، بَيْنَما ﴿نَعِيمٍ﴾ يُفيدُ الطَّرْحَ في سَعَةٍ وفُسْحَةٍ مِنَ الرَّغَبِ والتَّأمُّلِ.

غَرَضُ التَّنكير:

جاءَ لَفظُ النَّعيمِ مُنَكَّرًا في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾؛ ليُفيدَ تَعْظيمَ الجَزاءِ وتَفْخيمَ قَدْرِهِ، كَأنَّهُ نَعيمٌ لا يُعْرَفُ مِثْلُهُ، ولا يُبْلَغُ كُنْهُهُ، ففيهِ إجْمالٌ يَدُلُّ على الاسْتِغْراقِ في النَّعيمِ، وإشْعارٌ بأنَّهُ نَعيمٌ فائِقٌ لِكُلِّ ما يُتَصَوَّرُ، وهَذا أبْلَغُ في تَشْويقِ السّامِعِ مِنْ أنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بما يَدُلُّ على مَعْروفٍ مُعَيَّنٍ، فالتَّنكيرُ هُنا إثارَةٌ لِلتَّرَقُّبِ، وتَفْتيحٌ لِخَيالِ المُسْتَمِعِ، يَتَصَوَّرُ فيهِ أنْواعًا وأشْكالًا مِنَ النَّعيمِ، لا تُقَيَّدُ بوَصْفٍ، ولا تُحْصَرُ في نَوْعٍ.

ألوانُ النَّعيمِ لا تُقَيَّدُ بوَصْفٍ، ولا تُحصَرُ في نَوْعٍ

بَلاغَةُ الوَصْل:

في الوَصْلِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ المُتقابِلَتَيْنِ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ - مَعَ أنَّ الأصْلَ في المُتقابِلَيْنِ أنْ يُفْصَلَ بَعْضُهُما عَن بَعْضٍ - نُكْتَةٌ بَلاغِيَّةٌ دَقيقة، وهيَ أنَّ الوَصْلَ في هَذا المَوْضِعِ يُفيدُ اقترانَ المَصيرَيْنِ، وتَزامُنَ الحُكْمَيْنِ، وتَرْتيبَ الجَزاءِ على ما تَقَدَّمَ مِن ذِكْرِ المُراقَبَةِ والتَّسْجيلِ في قَوْلِهِ:

اقترانُ المَصيرَين، وتَزامُنُ الحُكمَين

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، فالجُملَتانِ - وإنْ كانَتا مُتَقابِلَتَيْنِ في اللَّفْظِ والمَعْنَى - مُتَلازِمَتانِ في القَضاءِ والحُكْمِ، فجاءَ الوَصْلُ بَيْنَهُما؛ ليَدُلَّ على أنَّ هَذَيْنِ الجَزاءَيْنِ يَجْريانِ في مَجْرًى واحِدٍ، ويَقَعانِ في زَمَنٍ واحِدٍ، وهوَ يَوْمُ الدّينِ، كَما يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، ولَعَلَّ مِن مُقتَضَياتِ الوَصْلِ: اتِّفاقُ الجُملَتَينِ في الخَبَريَّةِ والإنشائيَّةِ مَعَ الاتّصال، أي: إنَّ الجامِعَ بَينَهُما هنا هوَ التَّضادّ[1].

وَمِنْ فوائِدِ الوَصلِ أيضًا دَفعُ ما يُتَوَهَّمُ مِنَ الفَصْلِ بَينَ الجُملَتَيْنِ، أنّهُ يوحي بتَباعُدِ المَعْنَيَيْنِ، فجاءَ الوَصْلُ؛ ليَدُلَّ على أنَّ الحُكْمَ على الأبْرارِ والفُجّارِ قَضاءٌ واحِدٌ في مَجالِ العَدْلِ الإلهيِّ.

بَلاغَةُ تكرارِ المؤَكِّدات:

حُكمُ الله على الفُجّارِ قَضاءٌ مُستَقِلٌّ

في تَكْرارِ أدَواتِ التَّوكيدِ في الجُملَةِ الثّانيَةِ من قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، نُكْتَةٌ بَلاغيَّةٌ دَقيقَةٌ، تُفيدُ تَقْويَةَ الحُكْمِ على كِلا الطَّرَفَيْنِ بصورَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ؛ لِتَكونَ كُلُّ جُملَةٍ كالأصْلِ في الخَبَرِ والإثْباتِ، لا تَبَعيَّةَ فيها لِلأُخْرَى، فكرَّرَ التَّأكيدَ مَعَ الجُملَةِ المَعطوفَةِ؛ للاهتِمامِ بتَحقيقِ كَونِهم في جَحيمٍ لا يَطمَعون في مُفارَقَتِه[2].

وَمِمّا يُذكَر في بَلاغَةِ تكرارِ التَّوكيدِ إفادَتُهُ أنَّ حُكْمَ الفُجّارِ بالمُقابِلِ مِمّا لِلأبْرارِ لَيْسَ تَبَعًا ولا مُجَرَّدَ تَفْصيلٍ، بَلْ هوَ قَضاءٌ مُسْتَقِلٌّ، يُرادُ لِنَفْسِهِ، ويَسْتَقْطِبُ الانْتِباهَ إلَيْهِ، ويَزيدُ الأمرَ تَفْظيعًا وتَهْويلًا، ولَوْ لَم يُكَرَّرِ التَّوكيدُ؛ لَتَوَهَّمَ السّامِعُ أنَّ الجُملَةَ الثّانيَةَ مَبْنيَّةٌ على سياقِ الأولَى، وأنَّها مُجَرَّدُ تَفْريعٍ عَلَيْها، وذَلِكَ يُضْعِفُ مَكانَ الحُكْمِ على الفُجّارِ، ويوحي بتَراخيهِ، فجاءَ التَّكرارُ لِدَفْعِ التَّوَهُّمِ وتَقْويَةِ الجَزاءِ في حَقِّ أهْلِ الجَحيمِ.

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 265.
(2) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 182.

دَلالَةُ مُفرَدَةِ ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾:

مَفهومُ الفُجّارِ أعَمُّ مِنَ مَفهومِ الكُفّار

في اختيارِ لَفظِ ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ - دونَ أنْ يُقالَ: (الكُفّار) - نُكْتَةٌ بَلاغيَّةٌ جَليلَةٌ، فإنَّ الفُجورَ في اللُّغَةِ هوَ شُيوعُ الخُروجِ عَن طَريقِ الحَقِّ، والانفِلاتُ مِن ضَوابِطِ الدّينِ والأخْلاقِ، وهوَ أعَمُّ مِنَ الكُفْرِ، فقَدْ يَكونُ الفاجِرُ كافِرًا، وقَدْ يَكونُ فاسِقًا مِن أهْلِ الإيمانِ، يَجْمَعُ بَيْنَ التَّكْذيبِ وسوءِ العَمَلِ، وقَدْ سَبَقَ في سياقِ السّورَةِ ذِكْرُ أعْمالِ المُكَذِّبينَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾، ثُمَّ ذُكِرَ أنَّهُم مَرْصودونَ بالرَّقيبِ المَلَكيِّ، الَّذي يَعْلَمُ ما يَفْعَلونَ؛ فجاءَ ذِكْرُ الفُجّارِ؛ تَتويجًا لِصِفَةِ أعْمالِهِم، لا لِمُجَرَّدِ مَوْقِفِهِم العَقَديِّ.

دَلالَةُ صيغَةِ ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾:

رُسوخُهم في الفُجور، وتَكرارُه منهم حتَّى صارَ لهُم كالحِرفَة

في اخْتيارِ صيغَةِ الفُعّالِ - دونَ صيغَةِ اسمِ الفاعِلين (الفاجِرينَ) أوْ جَمعِ الكَثْرَةِ (الفَجَرَة) - مِن قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ نُكْتَةٌ بَلاغيَّةٌ تُفيدُ المُبالَغَةَ في وصْفِ الذّاتِ بالصِّفَةِ؛ لأنَّ صيغَةَ (فُعّال) في نَحْوِ هَذا السّياقِ تَدُلُّ على الرُّسوخِ والاشتِهارِ وتَكَرُّرِ الصِّفَةِ، فهيَ لَيْسَت مُجَرَّدَ دَلالَةٍ على وُقوعِ الفِعْلِ، كَما هوَ شَأنُ (فاعِلين)، بَلْ هيَ دَلالَةٌ على تَغَلْغُلِ الفُجورِ في الذّاتِ، وصيرورَتِهِ وصْفًا مُطَّرِدًا لَها، فاستِعْمالُ ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾ يوحي بأنَّهُم مُسْتَقِرّونَ على الفُجورِ، مُقيمونَ عَلَيْهِ، قَدِ انْطَبَعَت أحْوالُهُم وسُلوكُهُم على طابِعِ الفُجورِ، فهُم أهْلُ فُجورٍ في أقْوالِهِم وأفْعالِهِم، فصارَتِ الصِّفَةُ كالهويَّةِ المُلازِمَةِ لَهُم، وهَذا أبْلَغُ في التَّقْبيحِ والزَّجْرِ والإنْذارِ؛ وأيضًا فإنَّ فيهِ تَحْقيقًا لِمُجانَسَةِ الجَزاءِ لأصحابِهِ، بمَجيءِ الصّيغَةِ مُماثِلَةً لِدَرَجَةِ الجُرْمِ وثِقَلِ الوِزْرِ.

والصّيغَةُ مِنْ بابِ التَّناسُبِ اللَّفْظيّ، فلَفظُ ﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾ يُقابِلُ لَفظَ ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾؛ وذَلِكَ مِنْ بَلاغَةِ التَّوازُنِ في ألفاظِ القُرْآنِ؛ إذْ يُقابَلُ

الوَصْفُ بنَظيرِهِ في دَلالَةِ الصّيغَةِ والوزانِ الصَّوْتيّ، لَكِنْ بخِلافِ المَعْنَى، فالأبْرارُ هُمُ الَّذينَ رَسَخَ البِرُّ في نُفوسِهِم، والفُجّارُ هُمُ الَّذينَ رَسَخَ الفُجورُ في ذَواتِهِم.

دَلالَةُ حَرفِ الظَّرفيَّة:

تَصويرُ استِغراقِ الـفُـجّـارِ في العَذاب

جاءَ استِعْمالُ حَرْفِ الظَّرْفيَّةِ في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ يَحمِلُ دَلالَةً تَصْويريَّةً عَميقَةً، أضفَت على الجَحيم صِفَةَ الظَّرْفِ المُحيط؛ للدَّلالَةِ على إحاطَةِ العَذابِ بالفُجّارِ إحاطَةً تامَّةً، لا يَجِدونَ مِنْها مَخْرَجًا، ولا يَنْفَصِلونَ عَنْها، وهَذِهِ الظَّرْفيَّةُ حَقيقيَّة[1]، بخِلافِ ظَرْفيَّةِ الأبرارِ في النَّعيم، وفي هذا التَّعبيرِ - إضافَةً إلى إفادَةِ حَقيقَةِ وُجودِهِم في الجَحيم - تَصْويرٌ لِتَمَكُّنِ العَذابِ منهم، واستِغْراقِهِم فيه، وإشارَةٌ إلَى اللُّزوم، والدَّيمومَةِ، والاستِقْرارِ المُؤْلِم، فلَيْسَ المَقْصودُ مُجَرَّدَ المُلاقاةِ أوِ المُرورِ، بَلْ هوَ الاستِقْرارُ التّامُّ في مَقامِ العَذابِ، لا يُفارِقُهُم، ولا يُفارِقونَهُ، مِمّا يَزيدُ مِنْ شِدَّةِ التَّصْويرِ وهَوْلِ المَآل.

نُكتَةُ استِعمالِ لَفظِ الجَحيم:

تَصويرُ العَذابِ بصورَةٍ مُرعِبَةٍ مَحسوسَة

عُدِلَ عن مُقابَلَةِ النَّعيمِ بالشَّقاءِ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾؛ تَوْجيهًا لِفَهْمِ المَصيرِ على وجْهِ العيانِ والإحْساسِ، لا على وجْهِ التَّجْريدِ العَقْليِّ، فإنَّ (الشَّقاءَ) مَعْنًى ذِهْنيٌّ مُجْمَلٌ، يَشْتَمِلُ على أنْواعٍ مِنَ المَكْروهِ، مِن غَيْرِ تَعْيين، بَيْنَما (الجَحيمُ) يوحي بمَشْهَدٍ هائِلٍ، وعَذابٍ مَلْموسٍ، ووَقودٍ مُتَّقِدٍ، يُطَوِّقُ أصْحابَهُ، ويُحيطُ بهِم، وقَد غَلَبَ استِعمالُ لَفظِهِ في القُرآنِ على ما يُقابِلُ نَعيمَ الجَنَّةِ مِنَ العَذابِ النّاريِّ الدّائِم، حَتَّى صارَ عَلَمًا بالغَلَبَةِ على جَهَنَّم[2]، كَذَلِكَ، فإنَّ في ذِكْرِ (الجَحيم) دونَ (الشَّقاءِ) تَناسُبًا صَوْتيًّا ودَلاليًّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 182.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 182.

مَعَ قَوْلِهِ تعالى في المُقابَلَةِ: ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾، فكَما أنَّ النَّعيمَ هوَ قِمَّةُ الرّاحَةِ الحِسّيَّةِ والنَّفْسيَّةِ، فكَذلِكَ (الجَحيمُ) قِمَّةُ العَذابِ الحِسّيِّ والمَعْنَويِّ، فجاءَتِ المُقابَلَةُ مُتَماثِلَةً في الصّياغَةِ والمَوْزونَةِ في الأثَرِ.

بَلاغَةُ المُقابَلَةِ بَيْنَ الآيَتَيْن:

إبْـرازُ التَّقْسيمِ الـعـادِلِ بَـيـنَ طَـرَفَـيـنِ مُـتَـنـاظِـرَيـنِ فـي الـبِـنْـيَـة، مُـتَـضـادَّيـنِ في المَعْنَى

في المُقابَلَةِ بَيْنَ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾، وقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ بَلاغَةٌ جَليلَةٌ تَقومُ على التَّقْسيمِ العادِلِ والتَّقابُلِ البَيانيِّ، فهيَ مُقابَلَةٌ تامَّةُ الأرْكانِ، تَقَعُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ مُتَناظِرَيْنِ في البِنْيَةِ ومُتَضادَّيْنِ في المَعْنَى، فاقْتَرَنَ في الآيَتَيْنِ الاسمانِ: ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ و﴿ٱلْفُجَّارَ﴾، والخَبَرانِ: (في نَعيمٍ) و(في جَحيمٍ)، وتوُكِّدَتِ الجُملَتانِ بـ(إنَّ) واللّامِ، وجُمِعَ الطَّرَفانِ في نَظْمٍ مُتَساوٍ في العَدَدِ والإيقاعِ، وهَذِهِ المُقابَلَةُ تُفيدُ إظْهارَ التَّفاوُتِ البائِنِ بَيْنَ الفَريقَيْنِ، وتُشْعِرُ أنَّهُ لا وسَطَ بَيْنَ المَقامَيْنِ؛ فالنّاسُ مُنْقَسِمونَ يَوْمَئِذٍ إلَى أبْرارٍ في نَعيمٍ، وفُجّارٍ في جَحيمٍ، فلا مَخْرَجَ ولا مَفَرَّ.

وَمِمّا يُذكَرُ في بَلاغَةِ هَذِهِ المقابلةِ أنَّها جاءَت بَعْدَ سياقٍ يَذْكُرُ تَكْذيبَ النّاسِ بالدّينِ، ورَصْدَ أعْمالِهِم بالتَّفْصيلِ، فجاءَتِ المُقابَلَةُ كالجَوابِ القاطِعِ لِتِلْكَ الأعْمالِ، فهيَ قِسْمَةٌ مُحْكَمَةٌ، وعاقِبَةٌ مُطْلَقَةٌ لِكُلِّ ما سَبَقَ مِنْ فِعْلٍ أو تَكْذيبٍ أو إعْراضٍ.

وَمِنْ بَلاغَةِ المُقابَلَةِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ (﴿نَعِيمٍ﴾، ﴿جَحِيمٍ﴾): إبْرازُ التَّناغُمِ الصَّوْتيّ، فهُما على وزْنٍ واحِدٍ، وحُروفٍ مُتَقارِبَةٍ، مِمّا يوَلِّدُ أثَرًا إيقاعيًّا في السَّمعِ، وبَيانيًّا في الفَهْمِ، يُرَسِّخُ المَعْنَى في النَّفْسِ، ويُثَبِّتُ صورَتَي الجَزاءَيْنِ في الذِّهْنِ.

إبْـرازُ مَـآلِ الـفَـريـقَـيـنِ على وجْـهِ الـقَـطْـعِ واليَقين

بَلاغَةُ تَقْسيمِ الجَزاء:

يُعَدُّ قَوْلُ اللهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ تَقْسيمًا بَلاغيًّا بَديعًا، مُناظِرًا لقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ

وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: 7][1]؛ إذْ يُبْرِزُ بأُسْلوبِ المُقابَلَةِ الثُّنائيَّةِ مَآلَ الفَريقَيْنِ على وجْهِ القَطْعِ واليَقينِ، وقَدْ جاءَ هَذا التَّقْسيمُ مَشْحونًا بالتَّوْكيدِ، مُحْكَمَ اللَّفْظِ؛ ليَجْعَلَ السّامِعَ كَأنَّهُ يَرَى المَصيرَ رَأْيَ العَيْنِ، فيوقِظَ الوِجْدانَ، ويَسْتَنْهِضَ الإرادَةَ، كَما في أساليبِ الإنْذارِ القُرْآنيِّ الَّتي تَجْمَعُ بَيْنَ الإيجازِ والإعْجازِ.

بَلاغَةُ الاحتِباكِ بَينَ الآيَتَين:

تَوْفيرٌ في اللَّفْظِ، وتَفْنينٌ في المَعْنَى

في هاتَينِ الآيَتَينِ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ بَلاغَةُ الاحتِباكِ، وهوَ أنْ يُطْوَى في كُلِّ جانِبٍ ما ذُكِرَ نَظيرُهُ في الجانِبِ الآخَرِ؛ تَوْفيرًا في اللَّفْظِ، وتَفْنينًا في التَّعْبيرِ، وإيجازًا يَدُلُّ على الاستيعابِ؛ إذْ ذُكِرَ ﴿نَعِيمٍ﴾ في جانِبِ الأبْرارِ، وذُكِرَ ﴿جَحِيمٍ﴾ في جانِبِ الفُجّارِ، وقَدْ قامَ كُلٌّ مِنْهُما مَقامَ مَعْنَيَيْنِ: في الأوَّلِ نَعيمٌ في الجَنَّةِ، وفي الثّاني شَقاءٌ في الجحيم، فحُذِفَ ذِكْرُ المَكانِ في جانِبِ الأبْرارِ – الجَنَّة – لأنَّ النَّعيمَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وحُذِفَ ذِكْرُ الحالِ في جانِبِ الفُجّارِ – الشَّقاءِ – لأنَّ الجَحيمَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وبِذَلِكَ تَكونُ الآيَتانِ قَدْ جَمَعَتا بَيْنَ الوُضوحِ والإيجازِ، والمُقابَلَةِ والمُفاجَأةِ، فلا يُستَبْهَمُ المَقْصودُ، ولا يُمَلُّ التَّرْكيبُ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالصَّلْي:

الدَّلالَةُ على شِدَّةِ العَذابِ ودَوامِه

آثَرَ القرآنُ الكَريمُ التَّعبيرَ بالصَّلْي في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ دون (يَدْخُلونَها) أو (يُعَذَّبونَ فيها)؛ لأنَّ (الصَّلْيَ) في أصْلِهِ يَدُلُّ على اللُّصوقِ بشَيءٍ مع الحرارةِ، تقولُ: صَلَى اللَّحْمَ: شَواه، والصِّلاءُ: الشِّواء، فصَلَيَ النارَ يَصْلاها؛ إذا دخَلَ فيها، واحترقَ بها، أو لَزِمَها مُتحمِّلًا لَظاها[2]، فاخْتيارُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ يُصَوِّرُ شِدَّةَ التَّلَظّي والتِصاقَ الجِسْمِ باللهيبِ، وذَلِكَ أبْلَغُ في التَّخْويفِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 249.
(2) ابن سيده، المُحكم: (صلي).

والإيلام النَّفسيِّ؛ لأنَّهُ يوحي بأنَّ العَذابَ لَيْسَ عارِضًا، ولا في طَرَفِ المَكانِ، بَلْ مُحيطٌ بهِم، ومُلازِمٌ لِذَواتِهِم.

دَلالَةُ المُضارَعَة:

الـتَّـجَـدُّدُ والاستِـمـرارُ في سياقِ الوَعيد

في استِعْمالِ صيغَةِ المُضارَعِ في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ دَلالَةٌ بَلاغيَّةٌ تُفيدُ التَّجَدُّدَ والاسْتِمرارَ، فإنَّ فِعْلَ المُضارَعِ في نَظائِرِ هَذا السّياقِ يُساقُ؛ لإفادَةِ الدَّوامِ وتَكَرُّرِ الحالِ، لا سيَّما إذا قُرِنَ بظَرْفٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، فقَوْلُهُ تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يُفيدُ أنَّ عَذابَهُم يَبْدَأُ مِن ذَلِكَ اليَوْمِ، ويَسْتَمِرُّ، لَيْسَ طارِئًا ولا واقِعًا دُفْعَةً واحِدَةً، بَلْ هوَ حالٌ دائِمَةٌ لَهُم، كَأنَّهُم يُلازِمونَ النّارَ مُلازَمَةً مُتَجَدِّدَةً في كُلِّ لَحْظَةٍ، لا يَفْتُرُ لَهُم عَنْها حالٌ، ولا يَتَنَفَّسونَ مِنْها فصْلًا.

وفي استِعْمالِ المُضارَعِ دونَ أداةِ الاستِقْبالِ - كأنْ يُقالَ: (سَيَصْلَوْنَها) - مَزيدُ تَقْريبٍ لِلزَّمَنِ، وتَصْويرٌ لِهَذِهِ الحالَةِ كَأنَّها واقِعَةٌ الآنَ، تَخْتَرِقُ سِترَ الغَيْبِ إلَى سَمعِ المُتَلَقّي.

سِرُّ الإضْمار:

الإضمارُ يُكسِبُ اللَّفظَ جَمالًا في المعنى، ويُثيرُ انتِباهَ السّامِعِ لِما يَرجِعُ إلَيهِ الضَّمير

أوثَرَ التَّعبيرُ بالإضمار في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ دون تَكرارِ الاسمِ الظّاهِر: (يَصْلَونَ الجَحيم)؛ وذَلِكَ لِفائدَةِ الإيجاز، مَعَ التَّنصيصِ على المَصيرِ، فالإضْمارُ؛ إذا كانَ المَرْجِعُ مُعَيَّنًا ومُحَدَّدًا في الذِّهْنِ، يُكْسِبُ اللَّفْظَ تَكْثيفًا في الدَّلالَةِ، ويُثيرُ انتِباهَ السّامِعِ لِما يَرْجِعُ إلَيْهِ، وكَأنَّهُ تَكْريرٌ لِذِكْرِ الجَحيمِ، لَكِنْ في صورَةٍ أكْثَرَ لُزومًا وتَلابُسًا.

دَلالَةُ الإضافَة:

الـتَّـعـظـيـمُ والإنذار

الإضافَةُ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ تُشْعِرُ بخُصوصيَّةِ ذَلِكَ الزَّمانِ؛ لأنَّ لَفظَ الدّينِ يُطْلَقُ على المُجازاةِ والمُحاسَبَةِ، كَما يُطْلَقُ على الطّاعَةِ والمِلَّةِ، فيَوْمُ الدّينِ هوَ يَوْمُ

الجَزاءِ، وهوَ مِنْ أسْماءِ يَوْمِ القيامَةِ، و﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ في الآية ظَرْفٌ لِـ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾، ذُكِرَ لِبَيانِ أنَّهُم يَصْلَوْنَها جَزاءً عَنْ فُجورِهِم[1]، فالإضافَةُ تُفيدُ التَّعْظيمَ والتَّهْويلَ، بأنْ تَجعَلَ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ مَظْهَرًا لِحُقوقٍ تُسْتَوْفَى، وحِسابٍ يُقامُ، وفَصْلٍ بَيْنَ الأعْمالِ يُجْرَى، فهوَ يَومُ دينٍ وجَزاءٍ وموافاةٍ، يَوْمٌ يُدانُ فيهِ الخَلْقُ بما قَدَّموا، وما أخَّروا، وتُؤْخَذُ فيهِ الأنْفُسُ بمَآلِها العادِلِ.

نُكتَةُ اختيارِ لَفْظِ ﴿ٱلدِّينِ﴾:

دَلالَـةُ الشُّمولِ والتَّهْويل

مِنْ أسْبابِ اختيارِ لَفْظِ ﴿ٱلدِّينِ﴾ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ دونَ غَيْرِهِ مِن ألفاظِ المُقارَبَةِ - مِثْلِ (الحِسابِ) و(الجَزاءِ) - أنَّ (الدِّينَ) في اللِّسانِ العَرَبيِّ أشْمَلُ في المَعْنَى، وأبْلَغُ في التَّهْويلِ، فهوَ يَتَضَمَّنُ الجَزاءَ، والمُكافَأةَ، والمُعاقَبَةَ، والمُلازَمَةَ لِلْحَقِّ، وهوَ أيْضًا مِمّا يَسْتَعْمِلُهُ العَرَبُ في مَقامِ العُقودِ والموافاةِ والالتزامِ، كَقَوْلِهِم: (كَما تَدينُ تُدانُ)، ففي اختيارِ هَذا اللَّفْظِ دونَ (الحِسابِ) إشارَةٌ إلَى أنَّ ما سَيَقَعُ في ذَلِكَ اليَوْمِ هوَ دَيْنٌ يُؤَدَّى، وحَقٌّ يُسْتَوْفَى.

وَمِنْ لَطيفِ الاتِّساقِ في السِّياقِ أنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ في الآيَةِ التّاسِعَةِ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾، ثُمَّ جاءَ ذِكْرُ (يَوْمِ الدِّينِ) في الآيَةِ الخامِسَةَ عَشْرَةَ كالرَّدِّ على التَّكْذيبِ؛ فصارَ فيهِ تَقْريرٌ لِما أُنْكِرَ، وتَثْبيتٌ لِما نُفيَ، وفي ذَلِكَ تَهْديدٌ ووَعيدٌ.

دَلالَةُ الواوِ:

بَـيـانُ دَوامِ عَذابِ الفُجّارِ في الجَحيمِ

الواوُ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ هيَ واوُ الحالِ، دَلَّت على أنَّ حالَ الفُجّارِ عِنْدَ صِلاهُمُ الجَحيمَ مُلازَمَتُهُم لَها، لا يُفارِقونَها، ولا يُمهَلونَ عَنْها، فالجُمْلَةُ في مَوْضِعِ حالٍ مِنْ ضَميرِ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾، أيْ: (يَصْلَوْنَها غَيْرَ مُنْصَرِفينَ عَنْها ولا مُنْقَطِعينَ)،

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 182.

فهوَ تَصويرٌ لِدَوامِ العَذابِ، ونَفْيِ الرّاحَةِ، وإقامَةِ العُقوبَةِ عَلَيْهِم بلا انْقِطاعٍ.

دَلالَةُ (ما):

شِدَّةُ العُقوبَة، وتأبيدُ الإقامَة

(ما) في قَوْلِ اللّه تَعالَى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ نافيَةٌ عامِلَةٌ عَمَلَ (لَيس)[1]، دَخَلَت على جُملَةٍ اسميَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ المُبْتَدَأ ﴿هُمْ﴾ والخَبَرِ ﴿بِغَآئِبِينَ﴾، وقَدْ تَوَسَّطَ فيها الجارُّ والمَجْرورُ ﴿عَنْهَا﴾ لِما فيهِ مِنَ التَّوْسيعِ والعِنايَةِ بالمَنْفيِّ، فـ(ما) هُنا أداةُ نَفْيٍ، وفيما تَقَدَّمَ دَلالَةٌ على تَأْبيدِ المُكوثِ في الجَحيمِ، وأنَّهُم لا يُفارِقونَها، فالأداةُ تَدُلُّ بقَرينَةِ السّياقِ على نَفْيِ الوُقوعِ في الزَّمَنِ المُسْتَقْبَلِ على وَجْهٍ دائِمٍ، فالنَّفْيُ في الآيَةِ نَفْيٌ لِلغيابِ عنِ الجَحيمِ أبَدًا؛ وذَلِكَ يَدُلُّ على شِدَّةِ العُقوبَةِ، وانتِفاءِ أدْنَى راحَةٍ.

دَلالَةُ تَقديمِ الضَّميرِ ﴿هُمْ﴾:

تَقويَةُ الحُكمِ وإفادَةُ التَّخْصيص

التَّعبيرُ بالجُملَةِ الاسميَّةِ المُبْتَدَأةِ بالضَّميرِ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ دالٌّ على تقويَةِ الحُكْمِ وإفادَةِ التَّخْصيص، أيْ: لَيْسَ غَيْبُهُم عَنْها مُمكِنًا في حالٍ مِنَ الأحْوالِ، بَلْ هوَ مَنْفيٌّ عَنْ ذَواتِهِم نَفْسِها؛ فالتَّرْتيبُ جَعَلَ نَفْيَ الغيابِ مَحْمولًا عَلَيْهِم على وَجْهٍ أقْوَى، والغَرَضُ تَفْخيمُ شِدَّةِ المُلازَمَةِ لِجَهَنَّمَ، وإبْرازُ أنَّهُم أنْفُسَهُم مَقْصودونَ بالحُكْمِ، لا يُتَصَوَّرُ أنْ يَتَخَلَّصوا مِنها، وفي التَّعبيرِ دَليلٌ على نَفْيِ كُلِّ وهْمٍ في وُقوعِ غِيابٍ، ولَوْ يَسيرًا.

بَلاغَةُ التَّعليقِ بحَرْفِ المُجاوَزَة:

تصويرُ شِدَّةِ لُزومِهِم لِلْجَحيم، وأنَّهُ لا مَخرَجَ لَهُم مِنْها

تَعْليقُ الغِيابِ بالحَرْفِ (عَنْ) في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ يُفيدُ مَعْنَى المُجاوزة والمُباعَدَةِ، كَما يُقالُ: جَلَسَ عَنْ يَمينِهِ، أيْ: جَعَلَهُ مُتَراخيًا ومُبْتَعِدًا عَنْ بَدَنِهِ مِنْ جِهَةِ اليَمينِ[2]، فمَعْنَى الآيَةِ:

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 265.
(2) سيبويه، معاني النّحو: 30/ 265.

أنَّهم لا يُفارِقونَ الجَحيمَ، ولا يَتَجانَبونَ مَواقِعَ العَذابِ، فـ(عَنْ) هُنا لَيْسَت لِمُجَرَّدِ التَّعَلُّقِ المَكانيِّ، بَلْ هيَ لإفادَةِ المُجاوَزَةِ أو المَفارَقَةِ المَطْلوبَةِ الَّتي نُفيَت نَفْيًا مُؤَكَّدًا، فالآيَةُ دالَّةٌ على أنَّهُم لا يُمكِنُهُم أنْ يَبْعُدوا عَنِ الجَحيمِ، ولا أنْ يَتَجانَبوها، ولَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فكَأنَّها تَتَجَدَّدُ مُلابَسَتُهُم بها دائِمًا، ومُرادُهُ تَصويرُ شِدَّةِ اللُّزومِ، وأنَّهُ لا مَخْرَجَ لَهُم مِنْها.

دَلالَةُ الإضْمار:

استِحْضارُ صورَةِ الجَحيم، وَرَبْطُ المَعنَى بالدَّوام

الضَّميرُ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ عائِدٌ إلَى الجَحيمِ المَذكورَةِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، وتَعْيينُ هَذا المَرْجِعِ يُفيدُ إحْكامَ الرَّبْطِ بَيْنَ الجُمَلِ، وتَقْويَةَ تَعَلُّقِ مَعْنَى الغِيابِ بمَوْصوفِ العَذابِ نَفْسِهِ، فكَأنَّ الآيَةَ تُصَوِّرُهُم، وهُم مَلْزوزونَ في الجَحيمِ، لا يُفارِقونَهُ.

فَلَوْ أُتيَ بالمُضْمَرِ غَيْرَ مُعَيَّنٍ، أو أُتيَ باسْمٍ مُبْدَلٍ مَكانَهُ، لَم يَكُنْ في ذَلِكَ ذاتُ التَّصْويرِ لِمُحاصَرَتِهِم بها وتَشْديدِ القَطْعِ بأنَّهُم لا مَفَرَّ لَهُم مِنْها، فالتَّعْبيرُ بالضَّميرِ يَسْتَحْضِرُ الجَحيمَ في الذِّهْنِ مُجَدَّدًا بَعْدَ ذِكْرِها، على وجْهٍ يُفيدُ الدَّوامَ والاتِّصالَ.

دَلالَةُ الباء:

تَوْكيدُ النَّفْي، وتَثْبيتُ الخُلودِ في العَذاب

الباءُ في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ هيَ باءُ الصِّلَةِ لِتَأكيدِ النَّفْيِ[1]، جيءَ بها في خَبَرِ النَّفْيِ؛ لِتُفيدَ تَقْويَةَ النَّفْيِ وتَثْبيتَهُ، كَما هوَ الشَّأْنُ في مَوارِدِ دُخولِها على خَبَرِ (لَيْسَ) ونَحْوِها، فإنَّ المَعْنَى: (وَما هُم غائِبونَ عَنْها)، غَيْرَ أنَّ دُخولَ الباءِ أكْسَبَ النَّفْيَ مُبالَغَةً وتَوْكيدًا، ودَلالَةُ هَذِهِ الصِّلَةِ أنَّها تَجْعَلُ صورَةَ الخَبَرِ كَأنَّهُ مُحاصَرٌ بأدَواتِ التَّقْويَةِ، حَتَّى لا يَبْقَى لِمُتَوَهِّمٍ مَجالٌ في إمكانِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 183.

الغيابِ، ولا في احتِمالِ التَّخفيفِ مِنْها، فيُصْبِحُ المَعْنَى أنَّهُم مُقيمونَ في الجَحيمِ مُقامًا أبَديًّا، لا يُباعِدُهُم عَنْها بُعْدٌ، ولا يُغَيِّبُهُم زَمانٌ.

بَلاغَةُ استِعمالِ مادَّةِ الغياب:

تَصويرُ العَذابِ في أشَدِّ وُجوهِه

جاءَ اخْتيارُ مادَّةِ الغيابِ مَنفيًّا في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ – دونَ ما يُفيدُ مُجَرَّدَ المُكوثِ أوِ الإقامَةِ – لأن المُرادَ تَصْويرُ العَذابِ في أشَدِّ وُجوهِه، بأنْ يَكونَ المُعَذَّبُ في مَوْقِعٍ لا يُفارِقُهُ، ولا يُرَى فيهِ أثَرُ الغيابِ ولا الخَفاءِ، وفي ذَلِكَ تَغْليظٌ في الوَعيدِ؛ إذْ إنَّ الغيابَ عَنِ المَكانِ يُقابِلُهُ الحُضورُ، فنَفْيُهُ يَعْني أنَّهُم حاضِرونَ في الجَحيمِ حُضورًا دائِمًا لا يَنْقَطِعُ، فكَأنَّهُ تَصْويرٌ لِلزَّمَنِ المُطْبِقِ عَلَيْهِم بأنَّهُ حالَةٌ مُؤَبَّدَةٌ، وبِذَلِكَ جاءَتِ المُفْرَدَةُ مُشْعِرَةً بمَعْنَيَيْنِ: نَفْيِ الفِرارِ وإثْباتِ المُلابَسَةِ المُسْتَمِرَّةِ، وهوَ أبْلَغُ في الزَّجْرِ والإنْذارِ.

دَلالَةُ صيغَةِ اسمِ الفاعِل:

بِئْسَ القَرارُ جَهَنَّم

جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ اسْمِ الفاعِلِ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ – دونَ أنْ يُقالَ: (وَما يَغيبونَ عَنْها) – لأنَّ اسْمَ الفاعِلِ يَدُلُّ على الثُّبوتِ والاستِقْرارِ أكْثَرَ مِمّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الفِعْلُ المُضارِعُ الَّذي يَفيدُ التَّجَدُّدَ والحُدوثَ، فاخْتيارُ هَذِهِ الصّيغَةِ جاءَ لِلدَّلالَةِ على أنَّ نَفْيَ الغَيابِ عَنْهُم لَيْسَ أمرًا عارِضًا يَقَعُ في حالٍ، ويَرْتَفِعُ في أُخْرَى، بَلْ هوَ وصْفٌ مُسْتَقِرٌّ لَهُم، مُقارِنٌ لِحَقيقَتِهِم، فكَأنَّهُم مُنادَونَ بأنَّهُم أهْلٌ لِلحُضورِ الدّائِمِ في الجَحيمِ.

دَلالَةُ تَقديمِ ﴿عَنْهَا﴾:

مَصَبُّ الاهتِمامِ هوَ الضَّميرُ العائِدُ إلى جَهَنَّم

قُدِّمَ الجارُّ والمَجْرورُ على خَبَرِ المُبْتَدَأ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ إذِ الأصْلُ في التَّرْتيبِ أنْ يُقالَ: (وَما هُم بغائِبينَ عَنْها)؛ فإذا عُكِسَ التَّرْتيبُ؛ دَلَّ على الاهتِمامِ بالمجرور والاخْتِصاصِ، مَعَ إفادَةِ التَّشويقِ أيضًا، ورِعايَةِ الفاصِلَة[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 183.

فالمُرادُ تَثْبيتُ المَعْنَى في ذِهْنِ السّامِعِ وإقامَةُ الدَّليلِ على أنَّهُم لا يَجِدونَ مَفَرًّا ولا مَهْرَبًا، وفي ذَلِكَ إشْعارٌ بأنَّ مُلابَسَتَهُم لِلْجَحيمِ هيَ المُعْتَبَرَةُ، فالتَّقْديمُ جاءَ لِلتَّنْبيهِ على أنَّ المَحَلَّ المُهِمَّ هوَ هَذا العَذابُ المُحيطُ بهِم، لا شَيْءَ غَيْرُهُ، فكَأنَّ الكَلامَ يَقولُ: (أمّا الجَحيمُ؛ فلَيْسَ ثَمَّةَ غَيْبوبَةٌ عَنْها أصْلًا).

بَلاغَةُ اسميَّةِ الجُملَة:

تَـصـويـرُ دَوامِ العَذابِ وثَباتِه

جاءَ التَّعبيرُ بالجُملَةِ الاسميَّةِ: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ دونَ أنْ يُقالَ: (وَما يَغيبونَ عَنْها)، أوْ (وَما يُفارِقونَها)؛ لإفادَةِ الاسميَّةِ الثَّباتَ، سَواءٌ في الإثْباتِ أوِ النفي، فالثَّباتُ حالَةٌ لِلنِّسْبَةِ الخَبَريَّةِ، سَواءٌ كانَت نِسْبَةَ إثْباتٍ أوْ نِسْبَةَ نَفْيٍ[1]، فما يُصاغُ في قالَبِ الاسم يَدُلُّ على الدَّوامِ والتَّحَقُّقِ أكْثَرَ مِمّا يُؤَدّيهِ الفِعْلُ؛ إذِ الفِعْلُ مَظِنَّةُ التَّجَدُّدِ والحُدوثِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 30/ 183.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"